مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية
Global Islamic Economics Magazine

مجلة شهرية علمية إلكترونية تصدر عن مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية بالتعاون مع جامعة كاي

العدد / 90 / ربيع الأول 1441 هـ الموافق تشرين ثاني / نوفمبر 2019 م

الثورة الصناعية الرابعة واقتصاد ما بعد الندرة

في عالم التعاون اللامركزي المفتوح المصدر

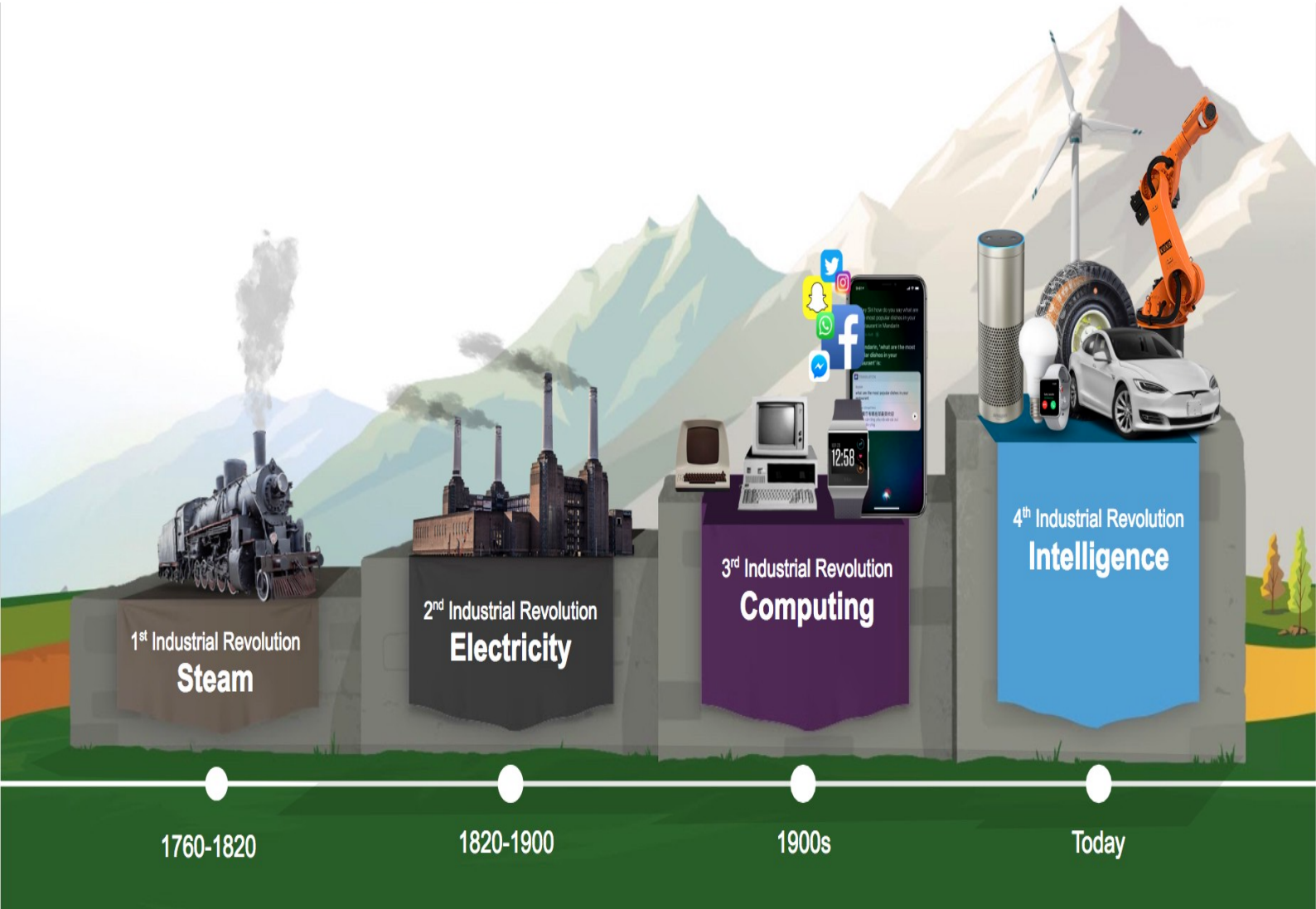

الثورة الصناعية الرابعة واقتصاد ما بعد الندرة في عالم التعاون اللامركزي المفتوح المصدر

الدكتور سامر مظهر قنطقجي

رئيس تحرير مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية

رؤية استشرافية من منظور الاقتصاد السياسي لما حصل من تغيرات جيوسياسية في العصر الحديث ومازال يحصل والتغيرات الاستراتيجية المرتقبة عالميًا

يُجمع المؤرخون أن نهاية القرن الثامن عشر هو بداية بزوغ عهد الثورة الصناعية حيث حلت الآلات؛ أي المكننة، محل العمل اليدوي، تَرافق ذلك مع نهضة علمية فرضت تغييرات مؤثرة على **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية**. اتسمت تلك الثورة الصناعية الأولى باختراع الآلة البخارية، ثم في بداية القرن التاسع عشر بدأت الثورة الصناعية الثانية باختراع الكهرباء، تلتها الثورة الصناعية الثالثة في القرن العشرين التي وصفت بالثورة الرقمية.

أما الثورة الصناعية الرابعة، التي تنامت مع بداية القرن الواحد والعشرين؛ فتتمثل بدمج التكنولوجيا في المجتمعات، وفي جسم الإنسان أيضًا، كالروبوتات، والذكاء الصنعي، وتكنولوجيا النانو، والحوسبة الكمومية، والتكنولوجية الحيوية، وإنترنت الأشياء، والطباعة ثلاثية الأبعاد، والمركبات ذاتية القيادة، والبلوكتشين، والشيء المؤكد أن الأمر لن يقف عند هذا الحد؛ بل إن ذلك سيفرض تغييراً مؤثراً على **الأوضاع السياسية** إلى جانب التغييرات **الاجتماعية والاقتصادية والثقافية** التي فرضتها الثورات الصناعية السابقة.

لقد شكّل موضوع الثورة الصناعية الرابعة محور كتاب ألفه (كلاوس شواب[١]) مؤسس المنتدى الاقتصادي العالمي ورئيسه التنفيذي، وكان (إتقان الثورة الصناعية الرابعة)، هو موضوع الاجتماع السنوي للمنتدى الاقتصادي العالمي لعام ٢٠١٦ في دافوس بسويسرا. ولعل مقال[٢] (تونى كارتالوتشي)[٣] عام ٢٠١٢ هو أول من

[١] كلاوس شواب: اقتصادي ورجل أعمال ألماني، مؤسس المنتدى الاقتصادي العالمي ورئيسه التنفيذي عام ١٩٧١، والذي بات محجة ومرجعًا للقرارات الاقتصادية حول العالم.

[٢] Tony Cartalucci, 3D Printed Drones & Guns: Post Scarcity & The World of Tomorrow, Land Destroyer blog, 04-10-2012, link.

[٣] أنتوني كارتالوتشي: باحث وكاتب جيوسياسي مقيم في بانكوك بتايلاند. يغطي عمله الأحداث العالمية من منظور جنوب شرق آسيا.

تناول المخاوف من منتجات هذه الصناعة؛ حيث أشار إلى مخاطرها الأمنية العالمية. أما ما سنستفيده منه؛ فهو إشارته إلى مفهومي: (**التصنيع الفردي**) و (**اقتصاد ما بعد الندرة**)؛ وسنذكر أداتين بلورتا هذين المفهومين، ثم سنوضح المفاهيم التي رافقت هذه المرحلة الصناعية الجديدة وآثارها، وكيف يمكن اللحاق بالركب قبل اتساع الهوة والخروج شبه النهائي من اللعبة العالمية المستمرة التغيّر.

الأداة الأولى: الطابعات ثلاثية الأبعاد:

لقد صار في مقدور الفرد – أو مجموعة أفراد – شراء تكنولوجيا باهظة الثمن بأقل استثمار من خلال الاستفادة من التقنيات المتسارعة. مثال ذلك؛ الطابعات ثلاثية الأبعاد التي صارت متاحة للأفراد الهواة.

سمح ذلك بالوصول إلى صناعات لم تكن في البال خارج إطار الشركات العملاقة، ومن ذلك صناعة التسليح؛ كصناعة طائرة بدون طيار مطبوعة بتقنية ثلاثية الأبعاد، وبذلك صار التسليح والوصول إلى الذخائر أمراً ممكناً وشخصياً أينما استخدمت الطابعات ثلاثية الأبعاد. كما صار تصنيع النماذج الأولية والصناعات الدقيقة وصناعة الفضاء، وبناء السفن، والجسور، والأبنية، والمعدات الطبية وتكنولوجيا المعلومات، بل كل تصنيع يُتحكم فيه عن طريق الكمبيوتر متاحاً؛ لذلك أخذت الطباعة ثلاثية الأبعاد دوراً متزايداً في تغيير شكل الصناعة المستقبلية.

ويبقى خيال وإرادة الفرد هي ما يمثل أفق حل أي إشكالية؛ فوسائل الإنتاج صارت في متناول اليد، والناس ينتجون ما يحتاجونه بأنفسهم، وبتكلفة منخفضة، وسيستمر انخفاض التكلفة كلما زاد المشاركون، خاصة مع تحسن قدرات الطابعات ثلاثية الأبعاد، وزيادة قدرات الأفراد في تطوير إعادة تدوير المواد المستهلكة ومعالجة المواد الجديدة من خلال مصادر بديلة أكثر وفرة.

الأداة الثانية: الصناعة البيولوجية:

تسمح ثورة البيولوجيا للفرد أن يعدل الخصائص الوراثية للكائنات بنفسه (مصطلح Do It Yourself)؛ بعد أن كان ذلك حكراً على شركات كبيرة متمسكة بقدرتها على التلاعب جينياً بالحياة على نطاق عالمي. ويعتبر وصول هكذا تكنولوجيا إلى أيدي الأفراد أمراً مقلقاً DIYbio؛ حتى أن قانوناً أمريكياً حديثاً حظر على الفرد التلاعب بجيناته بنفسه، فضلاً عن إمكانية الأفراد إختراع أسلحة بيولوجية. ويزيد من تلك الاحتمالات انخفاض تكاليف معدات المختبرات وزيادة إمكانية الوصول إلى الموارد التعليمية عبر الإنترنت، بل والمشاركة الفعالة كما تتيح ذلك منصة BioAutomata.

يقول هويمين تشاو، قائد البحث وأستاذ الهندسة الكيميائية والبيولوجية الجزيئية في جامعة إلينوي الأمريكية: إن المسابك البيولوجية مصانع تحاكي المسابك التي تصنع أشباه الموصلات، إلا أنها مصممة للأنظمة البيولوجية بدلاً من الأنظمة الكهربائية[١]. ونظراً لأهمية هذه الصناعة؛ أنشأنا باب: (تكنولوجيا الصناعة الحيوية Biosystems) في موقع مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية[٢] لمتابعة هذه التطورات.

مفاهيم رافقت المرحلة الجديدة:

رافقت مرحلة الثورة الصناعية الرابعة انتشار ثلاثة مفاهيم هي: مفهوم التصنيع الشخصي، ومفهوم اقتصاد ما بعد الندرة، ومفهوم التعاون اللامركزي المفتوح المصدر.

١- مفهوم التصنيع الشخصي: يلعب التصنيع الشخصي دوراً في تطوير معدات مثل OpenPCR[٣]، والطباعة ثلاثية الأبعاد، ومعدات طباعة وحفر النماذج الأولية Dremelfuge[٤]؛ مما ساعد في تفعيل ثورة التصنيع الشخصية.

٢- مفهوم اقتصاد ما بعد الندرة: إن شيوع مفهوم التصنيع الشخصي، سيحقق نموذج (ما بعد الندرة)، لأنه نموذج اقتصادي يرتبط فيه إنتاج كائن مادي بسهولة مع نسخ ملف رقمي؛ بعدما كان تحقيق مثل هذا النموذج يتطلب عدداً كبيراً من الأفراد المؤهلين تقنياً ومعامل وتجهيزات وأبنية. يتم ذلك بمشاركة تقنيات الطباعة ثلاثية الأبعاد وثورة DIYbio وتقنيات الذكاء الصنعي وأجهزتها وإنترنيت الأشياء وعموم البرمجيات التي يعتبر الفرد الماهر أساس تطويرها.

يشير ما سبق إلى:

١. تنامي مستقبل مفهوم التصنيع الشخصي.

٢. إيجاد عالم من القوة الموزعة.

٣. القضاء على نقاط رفع كانت رئيسية.

٤. الحد من الندرة.

---

[١] Mohammad HamediRad & Ran Chao & Scott Weisberg & Jiazhang Lian & Saurabh Sinha & Huimin Zhao, Nature Communications, 13 Nov 2019, Link.

[٢] https://kantakji.com/?category_name=biosystems-تكنولوجيا-الصناعة-الحيوية

[٣] بناء منتج جديد في المجتمع من خلال البرمجيات المفتوحة المصدر المتاحة على منصة تشمل مختلف الناس والمهارات تجمع الأفكار من خلال مشاركة الملفات والمعرفة، وباكتمال المنتج يمكن للمستهلكين شراء المنتج، رابط

[٤] تقنية للطباعة والحفر، وهو مثال على النماذج الأولية السريعة مفتوحة المصدر لمشروع OSAT، رابط

سيستفيد المصنعون الفرديون من التباين بين المصانع العملاقة، ومنتجاتها؛ فإن استغلوه بالتوجه نحو تلبية احتياجات الآخرين؛ فسنكون أمام تسويق صناعي فردي One-To-One يمتد لفترات قادمة، وقد يتوسع. ولربما اتخذت المصانع العملاقة إجراءات لتفادي ثورة معظم الأفراد الذين ليس لديهم فكرة أو أنها على وشك أن تتكشف لهم كما سنذكر لاحقًا.

ويمكننا استحضار قصة مايكروسوفت وقصة آبل اللتان قامتا على جهود أفراد مبتكرين ثم تحولت أعمالهم إلى شركات عملاقة تتحكم بالعالم كله، وليست قصة غووغل وغيرها ببعيدة عن ذلك.

يؤكد وجهة نظرنا؛ توجه الشركات الكبيرة حاليًا إلى شراء الشركات الناشئة ذات الخصائص المحددة التي تخدم توجهاتها بإدماجها وابتلاعها. مثال ذلك ما ذكره الرئيس التنفيذي لشركة آبل[١]: إذا كان لدينا أموال متبقية، فنحن نتطلع إلى معرفة ما الذي يمكننا القيام به أيضًا، ونحن نستحوذ على كل الشركات التي نحتاجها، والتي تناسبنا، والتي تحقق لنا أهدافًا إستراتيجية، وبذلك نستحوذ في المتوسط على شركة كل أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع. وقد اشترت آبل شركة Texture وحولتها إلى خدمة Apple News+ الجديدة، التي تتيح الوصول إلى مجموعة متنوعة من المنشورات مقابل رسم اشتراك ثابت. واشترت شركة Beats بقيمة ٣ مليارات دولار في عام ٢٠١٤ وحولتها إلى خدمة بث الموسيقى خاصتها Apple Music، إلى جانب مواصلة بيع سماعات رأس Beats كجزء من فئة الأجهزة القابلة للارتداء المتنامية؛ ليضيف ذلك حوالي ٨ مليارات دولار في الرابع الثالث لعام ٢٠١٩ (رابط).

٣- مفهوم التعاون اللامركزي المفتوح المصدر: يعتبر الاستقلال الاقتصادي سمة من سمات الثورات الصناعية التي سبقت الثورة الصناعية الرابعة؛ حيث ساد مفهوم التخصص الدولي؛ فقد سعت الدول الصناعية حثيثًا نحو أسواق المواد الأولية لمصانعها، ثم نحو أسواق تصريف منتجاتها، وتعدت بجيوشها على استقلال الدول الأخرى واستعمرتها أحيانًا. أما الثورة الصناعية الرابعة فسِمتها الترابط الاقتصادي، وهذا ما انعكس على مفهوم المواطنة. إن المواطنة السياسية هي حيث ينتمي الأفراد والشركات، أما المواطنة من الناحية الفنية في ظل عالم من التعاون اللامركزي المفتوح المصدر؛ فهو مفهوم غير محدود المعالم. وإن شئت – أيضًا – فإن المواطنة الافتراضية صارت منافسًا قويا لمفاهيم سبقتها؛ مثال ذلك شركة فيسبوك التي تتباهى بأنها أكبر مجتمع عالمي يضم ما يزيد عن ملياري فرد وشركة.

[١] https://www.cnbc.com/2019/05/06/apple-buys-a-company-every-few-weeks-says-ceo-tim-cook.html

لقد تجلى مفهوم التعاون اللامركزي في الصراع الدائر بين الصين بوصفها موطن الصناعات، ودول كـ (الولايات المتحدة وألمانيا وكوريا الجنوبية واليابان وألمانيا – حديثًا –) وغيرهم من عمالقة التصنيع؛ فمصانع الشركات تقيم في الصين وتستفيد من بناها التحتية وانخفاض تكاليف التشغيل فيها، أما جنسياتها السياسية فتعود لبلدانها حيث سجلاتها التجارية والصناعية. وهذا ما يُفسر الضغط الذي مارسه الرئيس الأمريكي ترامب في بداية عهده على الشركات الأمريكية لتعود فنيًا وسياسيًا، لكن جهوده لم تفلح كما كان يشتهي بسبب شيوع مفهوم التعاون اللامركزي المفتوح المصدر واندفاع النخبة العالمية نحو البنى التحتية العابرة للوطنية لتدعيم **نموذج التباين الذي يحدد المزايا النسبية للتبادل بين الأسواق**؛ بينما كانت المزايا النسبية للمنتجات تقاس بين الدول بوصفها أساس حساب الميزان التجاري، والمحدد لأسعار الصرف؛ الناجمان عن التبادل الدولي كما هو حال المدرسة التجارية (المركنتالية)؛ حيث المواطنة السياسية والفنية في ذات المكان؛ أما في ظل الثورة الصناعية الرابعة فقد غدا **أساس التباين المواطنة الفنية**، حيث تتوزع الضرائب بين المواطنتين السياسية (في البلد الأم) والفنية (في بلد إقامة المصنع)؛ **إلا أن ذلك كله سيتغير مع شيوع مفهوم التصنيع الشخصي القابل للتطور والنمو؛ ليصبح شركة موزعة بين أكثر من موطن، وتختفي معه الحدود الفاصلة بين المواطنتين السياسية والفنية.**

وبمقابل ذلك، ما زال التشابك الاقتصادي المهدد لمفهوم المواطنة الاقتصادية قائمًا حيث يُعدُّ كل من الاتحاد الأوروبي ونافتا والشراكة عبر المحيط الهادئ والمجموعة الاقتصادية لرابطة أمم جنوب شرق آسيا أمثلة متشابكة لمحاولات جعل الإنسانية في نظام من الترابط الاقتصادي العالمي، حيث يمكن للهيئات التنظيمية المركزية أن تسن التشريعات الاقتصادية وتنفذها بما يفيد الشركات، ويقوم النخبة الممولين ببناء وتعزيز ورعاية هذه الشبكات[١].

لكن ذلك التشابك سرعان ما يتزعزع أمام مصالح الشركات التي باتت عملاقة ومسيطرة، وكمثال عليه، المجابهة بين الاتحاد الأوربي وشركة فيسبوك التي ترغب بإطلاق عملتها الرقمية (ليبرا) مقابل رفض أوربي شديد، أدى إلى زعزعة تجمع الشركات التي ساندت فيسبوك، ثم سرعان ما أعلن الاتحاد الأوربي نيته عن إصدار عملة رقمية موحدة مقابل مشروع فيسبوك ومن معها، إنه صراع بين تجمع دولي يمثل ٢٧ دولة (وليس الشركات الأوربية) وبين شركة فيسبوك، وبمقارنة بسيطة فإن ميزانية فيسبوك التي تقارب ١٣٠ مليار دولار أكثر من نصفها نقدية

[١] ibid, Tony Cartalucci.

وشبه نقدية، وموازنة الاتحاد الأوربي لعام ٢٠١٩ بلغت ١٨٣ مليار دولار[١]، ومن جانب آخر تجاوز عدد سكان فيسبوك الافتراضيين المليارى نسمة أي ربع سكان الأرض؛ بينما بلغ عدد سكان الاتحاد الأوربي ٥٩٤ مليون نسمة أي ربع عدد سكان فيسبوك للفترة نفسها؛ علماً أن فيسبوك يمكنها إصدار عملتها الخاصة بمواقعها دون عائق كبير؛ لكنها تتكلم عن (ليبرا) كعملة عالمية، ولا يبدو أن رئيسها (مارك زوكربيرغ) سيتراجع عن مشروعه، وهذا مثال عن (صناعة نقد عالمي) يمثلها فرد يسيطر على شركته مقابل تجمع دولي ضخم.

بالمقابل تتعاون شركات التقنية مع الدول وتتحالف معها ضد دول أخرى تشكل تهديداً – برأيها –؛ فقد طورت غووغل مع شركات تكنولوجية بناء منصة OpenTitan كمشروع تعاوني مفتوح المصدر لتصميم الرقاقات الآمنة، والهدف من الائتلاف الجديد بناء تصاميم رقاقات جديرة بالثقة للاستخدام في مراكز البيانات والتخزين وملحقات الكمبيوتر، مما يسمح لأي شخص فحص نقاط الضعف الأمنية والأبواب الخلفية للأجهزة. وقد سوغت مشروعها بالقول بأنه: يأتي بوقت تدرك فيه عمالقة التكنولوجيا والحكومات على حد سواء، أن الدول القومية المعادية تحاول التسلل والمساومة على سلاسل التوريد للقيام بالمراقبة أو التجسس على المدى الطويل.

لقد تجاوزت المواطنة الفنية المواطنة السياسية منذ سنوات خلت، فقد كان ولاء المستهلك متوجه نحو شعار (صنع في دولة كذا Made in)؛ فتراه يبحث عن جهاز مصنوع في اليابان Made in Japan، وكانت الشركات تتباهى بهذه العبارة، ثم لما تمددت الشركات في أكثر من دولة وصارت متعددة الجنسيات؛ تحول الولاء إليها دون دولة محددة فصار يُكتب Made by؛ فيكفي شركة آبل أن تكتب على منتجاتها Made by Apple وليس من صلاحية العميل أو الوكيل أو الموزع الدخول في مناقشة أي دولة هي منشأ هذا المنتج.

إن أحد المفاهيم التي ستخلخل هذه الاتحادات الاقتصادية؛ هو تحول الدول إلى اقتصاد الخدمات تحت ضغط الشركات العملاقة؛ بينما هي تحتكر الصناعة وتخضعها للتنظيم الشديد؛ للاستفادة من المزايا التنافسية للبلدان، فالولايات المتحدة تمتلك المؤهلات المناسبة لبناء مجتمع للخيال العلمي، أما بناها التحتية فمتهالكة وعفا عليها الزمن[٢]، ويفتقر سكانها إلى حد كبير إلى إمكانات حقيقية وهذا صار معروفًا، ويبدو أن في ذلك عودة للتخصص الدولي؛ إنما على مستوى اقتصاد الدول.

---

[١] The European Commission, EU Budget 2018, Financial Report.

[٢] البنية التحتية في الولايات المتحدة: ما هو الوضع الحالي وما الجديد؟، 16 يونيو, 2019، رابط.

وها هو مفهوم التصنيع الشخصي يبرز ليخلخل المفاهيم السائدة؛ لكن مفهوم "الملكية الفكرية" الذي يحمي ملكية الأفكار والمفاهيم والعمليات والمعلومات في الأنظمة العالمية سيكون وسيلة مضايقة لأولئك الذين يحاولون إنشاء نماذج أعمال خاصة بهم "تنتهك" نماذج العمل الحالية السائدة.

التغييرات المرافقة لتغير مفاهيم التصنيع

أضحت النخبة المُمولة من الشركات فوق الحكومات، وصارت السيادة الوطنية مجرد عقبة تنظيمية يمكن الضغط عليها ورشوها والتلاعب بها من الوجود. وانتقلت – في المائة عام الماضية – النخبة الموحدة من التلاعب بالرئاسة إلى تقليص منصبها إلى موظف علاقات عامة لمصالحهم الجماعية.

لقد صارت النزاعات الجيوسياسية[١]، والحروب، والتوترات الإستراتيجية، التي تهدد الحياة – وفي بعض الجوانب البقاء – تحتل المرتبة الثانية في المعركة الحقيقية التي تدور رحاها. أما **المعركة الحقيقية** التي يدور رحاها؛ فهي معركة واحدة يخوضها نخبة ممولي الشركات التي تحاول الهيمنة المطلقة على البشرية والحفاظ على مكتسباتها؛ من خلال الترابط الاقتصادي، والهندسة الاجتماعية، وغيرها من أدوات الإمبراطورية الحديثة. ويبقى كل شيء آخر وسيلة لتحقيق ذلك الهدف أو إلهاءً لتحويل أوقات الناس وطاقتهم ومواردهم عن خطوط المعركة الحقيقية.

لكن ما يحصل، هو أن الأفراد النشطين المحليين، يطورون مؤسسات محلية مستقلة، ببنية تحتية ذات اكتفاء ذاتي ونشاط اقتصادي مستقل، يمارسون نشر أعمالهم وترويجها على الإنترنت؛ والشركات العملاقة تراقب كل عمل ونشاط؛ خاصة الابتكاري منها، فإذا وجدت ما تبحث عنه تدخلت كممول لأنها تملك فوائض نقدية هائلة تساعدها في الهيمنة على النظام العالمي الحالي. وهذا ما ذكرناه عن توجهات (آبل)، وكلام رئيسها التنفيذي يؤكد ذلك: إذا كان لدينا أموال متبقية، فنحن نتطلع إلى معرفة ما الذي يمكننا القيام به أيضًا، ونحن نستحوذ على كل الشركات التي نحتاجها، والتي تناسبنا، والتي تحقق لنا أهدافًا إستراتيجية، وبذلك نستحوذ في المتوسط على شركة كل أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع. وقد أظهر بيان أرباح آبل للربع الثاني للعام ٢٠١٩ عن وجود سيولة نقدية بقيمة ٢٢٥.٤ مليار دولار.

[١] الجيوسياسة هي الجغرافيا السياسية وانعكاساتها على أمن ورخاء الدول في علاقاتها مع الواقع ودلالاته.

الآثار الناجمة عن مفاهيم الثورة الصناعية الرابعة

١– كانت الموارد الطبيعية هي وجهة الاستعمار السياسي والاقتصادي للدول من خلال ضم أراضي الغير وخيراتها؛ لتصبح مورداً إضافياً ومكملاً لموارد الجهة المستعمرة؛ ثم وبسبب وفرة الإنتاج الجاهز صارت أسواق التصريف هي وجهة الاستعمار السياسي والاقتصادي للدول بضم أسواق الغير لتصبح مصرفًا لمنتجاتها الكبيرة؛ ثم وبسبب تضخم دور الشركات عالمياً وتوسعها في أكثر من بلد وتحقيقها لسيولة هائلة تفتقدها الدول وحكوماتها؛ صارت هي المستعمر الاقتصادي، حيث فرضت على الدول مفهوم التكيف مع (اقتصاد الخدمات) والاكتفاء بهذا الدور، وتلاعبت بثقافة الحكم فيها وشكله من خلال تسويق نماذج تحقق مرادها وغاياتها.

وقد شرع المنظرون (أي المسوقون) رسم الأدوار؛ فمثلاً الولايات المتحدة ذات البنى التحتية المتآكلة تصلح لأن تكون مركزًا لاحتضان الاختراعات ورعاية حقوق الملكية الفكرية، ولا داعي لأن تكون هي الدولة الصناعية المالكة؛ بل هي تدير سجل جنسيات الشركات وتحصّل الضرائب منهم وحسب.

نستذكر في هذا المقام طلب مايكروسوفت في نهاية ثمانينيات القرن الماضي استحضار أكثر من ١٨٠٠٠ خبير تقني للولايات المتحدة، لكن لما رفضت الحكومة الأمريكية طلبها، هددتها مايكروسوفت بنقل مقراتها وجنسيتها، وسرعان ما رضخت الحكومة لطلباتها. وهذه الأيام نشهد قبول فرنسا تعديل قانون الهجرة فيها بحجة ترشيده؛ لقبول الكفاءات المهاجرة من بلدانها أسوة بما فعلته ألمانيا إثر أزمة المهاجرين – وخاصة السوريين –، بينما تنبهت تركيا لذلك وسارعت لتجنيس من يملك الفكر ومن يملك المال، وهذا هو حال نيوزيلندا وأستراليا وكندا منذ سنين عديدة.

٢– إن الأمر ليس منوطًا بشركات الإنتاج المادي، فقد شاع إنشاء شركات أمنية وعسكرية تحل محل الجيوش كما هو حال (شركة بلاك ووتر شبه العسكرية) الأمريكية التي نقلت إداراتها إلى الشرق الأوسط وغيره، ولديها سجون منتشرة في أكثر من مكان. وكذلك (شركة فاغنر شبه العسكرية) الروسية التي تمارس نفس الدور وتبيع خدماتها لمن يحتاجها، وليست فرنسا وألمانيا وغيرها ببعيدة عن ذلك، ولا تخرج شركات تجارة البشر وتأمين المرتزقة عن ذلك مطلقًا. بل يُقال الشيء ذاته عن جماعات تصنف بأنها إرهابية؛ وهي شبيهة بالشركات الأمنية التي ذكرنا نماذج عنها؛ فهي متعددة الجنسيات، ولها إيرادات كبيرة، وتحقق أرباحًا مجزية، شأنها شأن أي شركة أخرى. وهناك شركات خدمات لوجستية ذات أهداف توسعية تحقق لبلادها ما يحققه التوسع العسكري وصولا

للسيطرة السياسية والاقتصادية، ومثال ذلك شركة موانئ دبي، وهناك شركات عديدة مشابهة تستخدمها بلدانها كواجهة اقتصادية ذات نفع لها، وتحقق لها غايات أخرى.

٣– إن شيوع ثقافة التصنيع الشخصي ودخول اقتصاد ما بعد الندرة سيجعل الشركات تتصيد الناجح منها أو الواعد منها؛ من خلال تقديم التمويل اللازم لها، أو شراءها وابتلاعها ودمج أفرادها الفاعلين ضمن هياكلها التنظيمية ريثما يتبلور شيء آخر، وقد ذكرنا أكثر من مثال عن ذلك.

٤– انتشار التوجه الشعبوي كما هو دأب الرئيس الأمريكي لخروجه من معظم الاتفاقات الدولية وغدره بحلفائه، وكذلك توجه بريطانيا إلى البريكست، وصعود اليمين المتطرف في أوروبا، والأمثلة عديدة وكثيرة، ويضاف لما سبق سعي بعض الدول للاستقلال التقني؛ كحال مشروعي روسيا والصين للخروج من شبكة الإنترنت العالمية وإنشاء شبكات تخصها، ورغم أنهما في وضع التطور والتجربة فالأمر يوحي بالانعزالية.

٥– أدى ما سبق إلى قيام محاولات لبناء وتسويق نظام رأسمالي جديد يتجاوز عيوب وخلل النظام الرأسمالي السائد الذي وصل إلى طريق مسدود بكل مقاييس الرأسمالية، وهذا ما سنتعرض له في مقالات قادمة بعون الله تعالى.

الخطة الاستدراكية لاستعادة القوة

إن سُنَّة التغيير هي سُنَّة من سنن الله تعالى في أرضه، تسبقها سُنَّة التدافع ويتلوها سُنَّة بقاء ما ينفع الناس بينما يذهب الزبد جفاء؛ وهذا ما تؤكده التجارب البشرية تاريخيًا في تحديد أنظمتها؛ فهي لا تعدو عن مجرد أبحاث ودراسات علمية تقبل النقد والتطوير، لكن المؤكد أنها ليست حقائق علمية، لذلك وجب عدم التسليم والبحث عن النموذج الأفضل؛ فالأصل هو عيش الإنسان بكرامة وعدالة، وإلا خضع لنواميس التغيير وسُننه لا محالة.

ولعل الخطة الاستدراكية التي يجب على الناس تلمسها؛ تتلخص بالآتي:

- إدراك المخاطر المحتملة.
- معرفة أنواع الأدوات التي يملكونها بالفعل أو الممكن الحصول عليها.
- منح الأفراد حافزاً إضافيًا للمشاركة بالنشاطات (التقنية والفكرية) التي تزرعها النخبة العالمية.
- الانخراط المحلي في الأنشطة.
- الدراية بالأمور التي تتكشف على الصعيد العالمي.

- التنظيم والوعي الظرفي الدقيق، والعمل الميداني، وهذا مؤداه تحقيق قوة هائلة.
- إن تنظيم الأفراد الذين لديهم وعي جماعي وحاد بالموقف، سيستغرق وقتًا.
- يجب العمل ببراغماتية لاستعادة القوة.

حماة (حماها الله) بتاريخ ٢٢ ربيع الأول ١٤٤١ هـ الموافق ١٩ تشرين ثاني (نوفمبر) ٢٠١٩ م